

مكتبتى	٤

الأسد هُس والفيل بُص

وقصص أخرى

بقلم : دكتور السيد نجم

رسوم : مخى جامع



دار المعارف

تصميم الغلاف : محمد أبو طالب

الناشر : دار المعارف ١١١٩ كورنيش النيل القاهرة ج . م . ع .

إعداد الماكيت : أماني والي

اعتاد ملك الغابة «الأسد هس» السير كل صباح بين أرجاء الغابة سعيداً بمملكته مزهواً بقوته، وذات مرة سمع الأسد صرخة استغاثة من بعيد، وتبين له أنه صوت النمر فلم يتردد، وجرى نحو مصدر الصرخة، وكان كلما اقترب أكثر يتضح الصوت، حتى كانت المفاجأة.. فقد سمع أيضاً صوت إنسان يستغيث، كيف ذلك؟!.. إن الإنسان لا يحضر إلى الغابة إلا للصيد، ومعه أسلحته التى يقتل بها الحيوانات الصغيرة وفراخ الطيور الضعيفة؟.

كل ذلك دار فى رأسه وهو يجرى حتى انتبه، وقد كادت أقدامه الأمامية تنزلق فى حفرة وبهدوء سحب نفسه إلى الخلف قليلا، ثم وقف يتأمل الحفرة. المغطاة ببعض الأعشاب، فإذا به يسمع صوت النمر والإنسان من نفس الحفرة.. كيف يسقط النمر مع الإنسان فى نفس الحفرة؟، تحير «الأسد هس»، لكنه قرر الخطوة الواجب اتخاذها قبل أى شىء.. وهى إنقاذ صديقه النمر.

لم تكن من عادات الأسد الاستعانة بأحد إذا ما شعر بمأزق أو وقع فى مشكلة.. فبقى يفكر وحده، ولولا أن النسناس «نسنس» كان يلهو فوق فروع الشجرة القريبة فى هذا اليوم الجميل، لولا ذلك ما كانت بقية الحيوانات علمت شيئاً، خصوصا الفيل الطيب «بص». وخلال دقائق قليلة كانت بقية الحيوانات مجتمعة معاً حول الملك، وبهدوء الفيل المعروف عنه تقدم نحو الأسد «هس» يطلب منه أن يعرف تفاصيل المشكلة. بعد تردد قال الأسد:

«يبدو أن هذا الإنسان صياد، وقد أوقع صديقنا النمر فى هذه الحفرة.. لكننى لا أجد تفسيراً لسقوطه هو نفسه أيضاً داخل الحفرة!!»

مسح الفيل «بص» رأسه بخرطومه الطويل، ثم هزه فى الهـواء وهـو يـهمس قائلا:

«المهم الآن أن نفكر فى طريقة ننقذ بها النمر»

فلما سمعه الأسد «هس» صرخ فى وجهه غاضباً:

«هس.. لا أريد أن أسمع صوتا»

كان الأسد هس دائماً وأبداً يرفض استشـارة أى حيـوان آخـر، حتـى الفيـل الحكيم «بص»، وقليلا ما اعترض الفيل.. إلا اليوم فقد اعترض غاضباً، لكنـه لم يشأ أن يغضب الملك، فقال له بصوت هادئ رزين كعادته:

«يا مولانا الملك.. نحن معشر حيوانات الغابة نعرف رجاحة عقلـك، ونقـدر دائما قوتك وقدرتك على حماية المملكة، لكننا اليوم فى مأزق جديد لم نواجهـه من قبل.. كيف ننقذ صديقنا النمر، وماذا نفعل مع هذا الإنسان الشرير؟»».

صحيح لم يقتنع الملك «الأسد هس» بسهولة لكنه ماذا يفعل وقد وجد بقيـة الحيوانات والطيور تتقدم نحوه فى قلق وهى تطلب منه أن يسمع منـها، إنـهم يشعرون بخطر من نوع جديد، لم يحدث لهـم مـن قبـل.. خصوصـاً مـع ذلـك الصياد الذى جاء لاصطيادهم ثم بيعـهم أحيـاء إلى سـيرك المدينـة القريبـة كمـا حدث مع حيوانات الغابة الأخرى، بل ربما يقتلـهم ليسلخ جلودهـم ويبيعـها مع أنياب بعضهم حتى يصنع منها إنسان المدينة القريبة الملابس الجميلـة فـى الشتاء ويزين بأنيابهم المنازل.. فرددوا قائلين:

«إنه ظلم الإنسان علينا ولا يجب إنقاذ الصياد».

لكن الفيل الطيب «بُص» رد قائلا:

«بل من الواجب إنقاذ كل من يطلب المساعدة، حتى ولو كان من الأعداء!» وهكذا اختلفت الآراء، وزاد الشجار بينهم.. فاندفع الأسد هـس يعـاتب الفيـل بُص على فكرته التى شجعت الطيـور والحيوانـات الضعيفـة قبـل القويـة علـى ألا يسمعوا آراءه وأفكاره كعادتهم فى كل مرة يمرون فيها بمشكلة أو مـأزق مـا. إلا أن الفيل الحكيم لم يغضب، بل ابتسم وقال:

«إنها مملكتنا جميعاً يا مولاى، ويجب على كل فرد فيها أن يشعر بالمسئولية، وأن له دوره الهام فى الوقت المناسب.. أنا مازلت أرفض كلمة «هس» التى تأمرنا بها، بل وأدعوك أن تقول لنا «بُص» ولو لمرة واحدة.. وسوف ترى كيف أن كلمة «بُص» أفضل كثيراً من كلمة «هس»!».

بعد تردد وتفكير طويل قالها الملك الأسد هُس: «سوف أجرب هذه المرة.. فقط». وسعد الفيل الحكيم «بُص» كثيراً، ومسح بخرطومه كلتا عينيه كعادته، وقال:

«شكراً يا مولاى.. ولتكن هذه المرة على سبيل التجربة».

ولم تمض عدة دقائق حتى كان النسناس «نسنس» قد تمكن من رفع كل الأعشاب وفروع الأشجار التى كان الصياد قد وضعها فوق الحفرة، وبانت للجميع دموع الصياد وهو ينظر إلى أعلى قائلا:

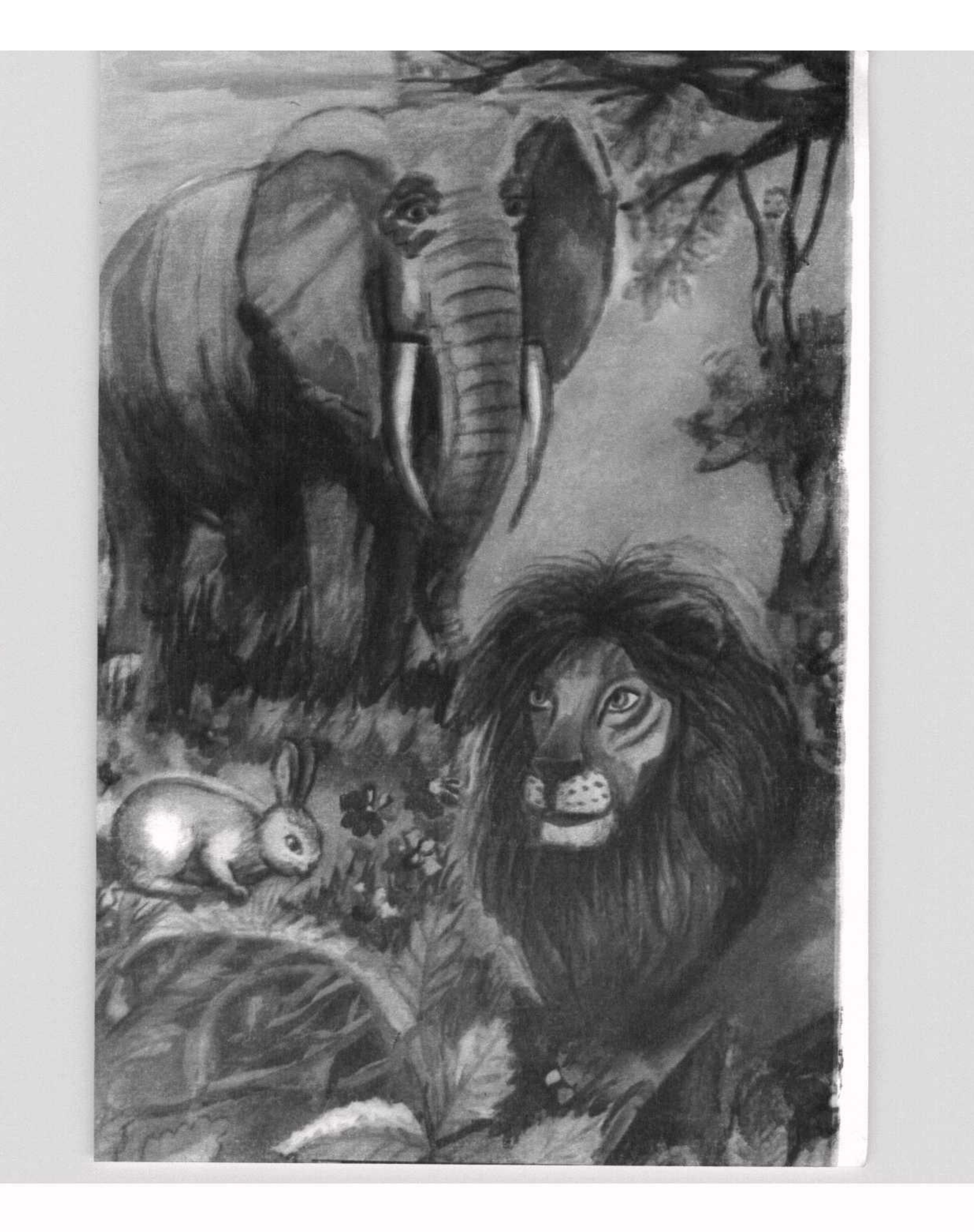
«أنقذنى، أنقذنى أيها الملك القوى، وأنا أعدك بعدم الصيد فى مملكتك مرة أخرى»، أما النمر فقد كان يبدو هادئا واثقا من نفسه وهو يقول:

«عليك أن تأمرنى يا مولاى الملك لأفترس هذا الصياد الذى أراد قتلنا» وأضاف النسناس قائلا:

«ونحن مع النمر يا مولانا، دعك من الصياد.. إنه يبكى ويتوسل لأنه تحت قبضتنا».

وزاد الهياج بين الحيوانات والطيور، ما بين الموافق والمعترض.. فزأر الأسد بصوته القوى، وأمرهم بالصمت ثم أصدر أوامره بإنقاذ النمر والصياد معاً.

وبسرعة تعلق النسناس بأحد فروع الشجرة الكبيرة القريبة، ثم أمر الملك الأسد بأن تصعد بقية الحيوانات إلى أعلى الشجرة حتى تميل وتميل ويقترب الفرع الذى تعلق به النسناس إلى قلب الحفرة ليتعلق به النمر ثم الصياد ويصعدان سويا إلى أرض الغابة.



ولما صعدا، نظر الأسد إلى الفيل الحكيم وسأله:

«ما الحل الآن وقد اختلف الجميع؟!»

فرد الفيل بسرعة وبثقة ليقول:

«هذا طبيعى يا مولاى، ليكن الرأى النهائى لك أنت، وأنت المسئول عن حماية كل هؤلاء».

وأغمض الأسد عينيه لفترة قصيرة، ثم عاد وزأر قائلا:

«إذا كان الأمر كذلك، إليكم قرارى..

صحيح أن هذا الصياد تعرض لأحد حيوانات المملكة، وكاد أن يقتله. لكن يجب أن تعرفوا جميعاً أنه الآن فى مأزق وقد استغاث بى وبكى بين يدى.. وأنا الأسد الملك لابد أن أنقذ كل من يطلب مساعدتى».

فوجئ الجميع بالصياد ينحنى تحية وتعبيراً عن شكره، وهو ما جعل الأسد لا يتردد للحظة واحدة وهو يقول:

«نحن الملك «الأسد هس»، قد عفونا عنك بشرط ألا تعود ثانية إلى الغابة لتقتل أو تصطاد منا أى طائر أو حيوان».

وقبل أن يسرع الصياد بالجرى بعيداً، سأله الفيل الحكيم:

«لكن لى سؤال يحيرنى»!!

وباضطراب استفسر الصياد عما يُحير الفيل، وكل ما يخشاه أن يثير الفيل بسؤاله ما يجعل الأسد يغير من رأيه، سأله الفيل عن سر وجوده مع النمر فى الحفرة نفسها؟

فقال الصياد وقد غطاه العرق خجلا من نفسه:

«الحقيقة يا أيها الفيل الحكيم.. السبب هو التسرع والتهور.. فما إن انتهيت من حفر الحفرة، ثم وضعت الأعشاب وأفرع الشجر عليها بحيث لا يمكن لأى حيوان فى الغابة اكتشاف السر أو الخدعة، حتى رأيت هذا النمر المسكين يسير نحوها وهو شارد، وكما توقعت حدث بالضبط، ففى خلال دقائق قليلة كنت قد حصلت على هذا الصيد الثمين، ومن شدة فرحتى أخذت

أعدو نحو الحفرة حتى أتأكد من نجاحى، ومن أننى قد حصلت على نمر قوى بأقل جهد ووقت.. فإذا بى وأنا مُسرع مندفع لا أستطيع أن أتوقف أمام الحفرة، وانزلقت قدماى داخلها».

فضحكت الحيوانات كلها وكذلك الأسد الملك، ثم أمره قائلا:

«إذن تجرى الآن من أمامى، ولا تعود للغابة ثانية وإلا ألقيت بك إلى داخل الحفرة ثانية.. لكن قبل أن ترحل تعال معى إلى عرينى لكى تأكل بعض ثمار الغابة وتشرب من مياهها».

لكن الفيل الحكيم اعترض بهدوء وقال: «إنه بذلك يُعرفه مكان بيته، فربما يعود ثانية لاصطياد الشبل الصغير».

وعاد الأسد إلى كلمته القديمة قائلا:

«هُس، أيها الفيل العجوز.. أنا أعرف وأعنى كل ما أقوله». صمت الفيل وهو يهز رأسه، وهمس إلى نفسه حزيناً:

«بسرعة عدت إلى عادتك القديمة، أيها الأسد، رعانا ورعاك الله».

عندما وصل الصياد إلى حدود الغابة، التقى بسيارة كبيرة مجهزة لصيد الحيوانات الكبيرة، وكان بداخلها مجموعة من الرجال يعرفهم جيداً، إنهم ممن يعملون بسيرك المدينة، وكثيراً ما كان يبيع لهم ما يصطاده من صغار الحيوانات والطيور، ليقوموا بتدريبها على ألعاب السيرك الطريفة والمسلية.

وسأله الرجال عن سبب اضطرابه والفزع الظاهر فى عينيه

قص الصياد عليهم كل ما حدث معه منذ أن وصل إلى الغابة صباحاً، فإذا بهم يضحكون ويعلنون عن فرحتهم التى أدهشت الصياد.

ولما سألهم الصياد عن سبب سعادتهم تلك، قال كبيرهم:

«لأنك سوف توفر لنا الكثير من الجهد والوقت».

فانتابته الحيرة وصمت لفترة قصيرة، لأنه لم يقل أكثر مما حدث معه بالفعل، وما حدث ليس فيه ما يستدعى تلك السعادة المرسومة على وجوههم.

فسأل بصوت خفيض: كيف؟

قال كبيرهم:

«لأنك دون أن تدرى أخبرتنا عن مكان الشبل الصغير، ونحن فى حاجة شديدة إليه الآن لأعمال السيرك».

وحاول الصياد أن يشرح لهم أنه وعد الأسد الملك بأنه لن يعاود الصيد فى تلك الغابة وأنه لن يغدر بهم أبدًا ، فضحكوا عليه ثانية، وعلق كبيرهم قائلاً:

«يا صديق، أنت تعلم أننا الآن فى حوار عمل، وسوف نعطيك من المال الكثير مقابل خدمتك تلك».

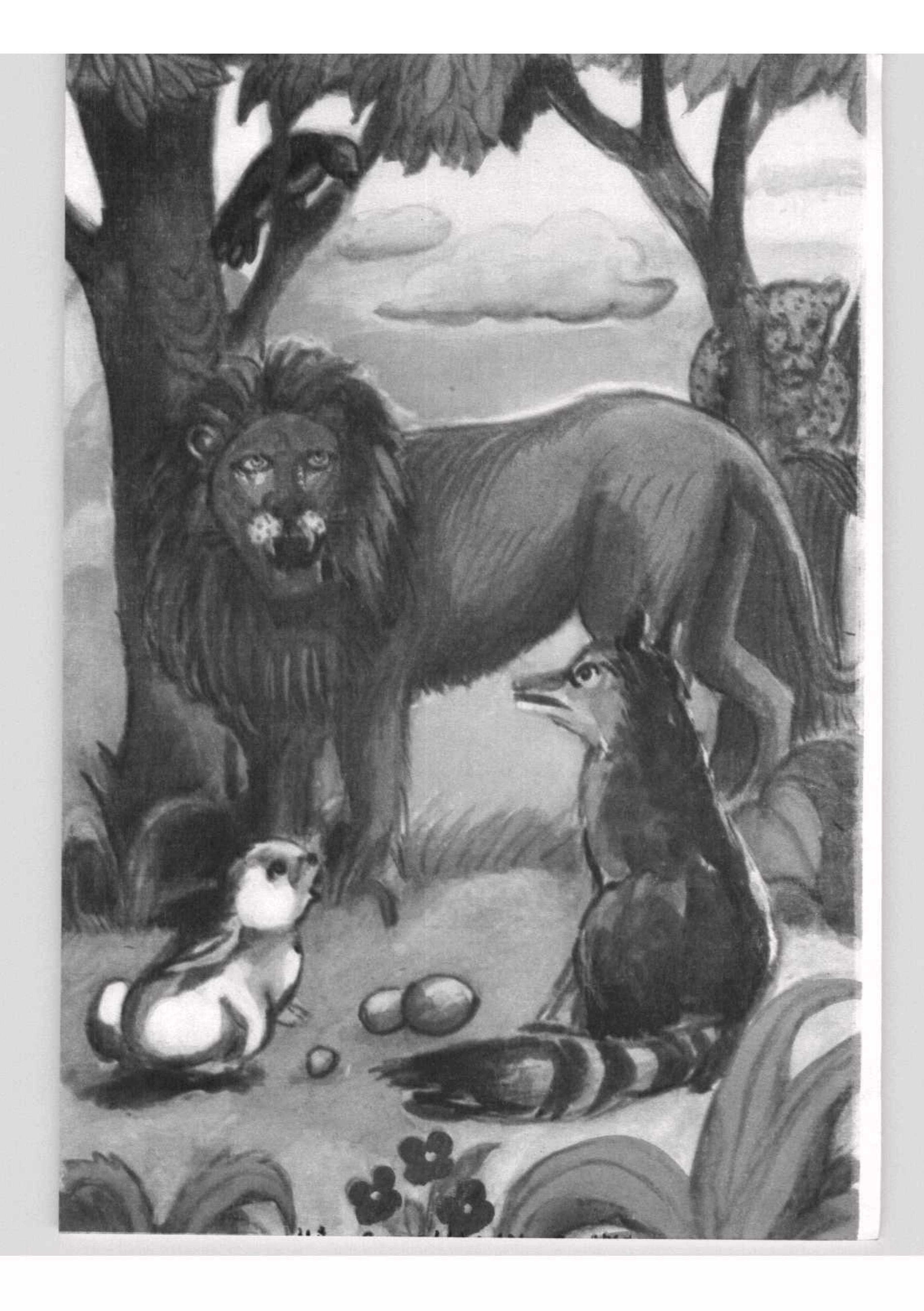
وهمس الصياد إلى نفسه: «أموال، أموال كثيرة، أنا فعلاً فى حاجة إلى أموال كثيرة». وإذا به يصرخ فجأة:

«موافق، أنا موافق، هيا بنا أرشدكم عن مكان الشبل الصغير ابن الأسد الملك» وبسرعة اعتلى السيارة وجلس بجوار السائق ليرشده إلى الطريق!

ولسوء حظ الشبل الصغير أن أباه الأسد الملك كان بين أفراد الغابة، بعيداً عن العرين (بيت الأسد)، والتف رجال السيرك حول الشبل الوحيد، وألقوا عليه الشبكة الكبيرة، فقاوم الصغير طويلاً لكنه لم يستطع التخلص من تلك الشبكة الملعونة، واستطاعوا أن يحملوه إلى داخل القفص الحديدى بالسيارة.

وخلال تلك الفترة لمحهم النسناس «نسنس»، فلم يتردد لحظة فى تسلق الأشجار العالية حتى يُخبر الملك عما شاهده حالا، وبكل ما حدث مع ابنه الشبل الصغير، فهاجت الحيوانات والطيور التى اعترضت من قبل على قرار الملك بالعفو عن الصياد.

وتدخل الفيل الحكيم وأمرهم بالصمت والتفكير فى هدوء، ثم عاد وعاتب الأسد لأنه لم يسمع نصيحته من قبل .



حزن الملك الأسد حزناً شديداً على ابنه الشبل، لكنه أقسم بشرفه أنه لن يهدأ حتى يعود ابنه إلى عرينه، وزأر بصوته القوى، لكن الفيل الحكيم حذره وطلب منه مرة أخرى أن يبص حوله ولا يعتمد على تفكيره وحده، لعله يسمع رأياً يفيده ويفيد كل حيوانات الغابة.

لكن الأسد كرر ما فعله منذ قليل، وزأر بصوته القوى، ثم قال: «هُس، هُسْ أيها الفيل العجوز».

وغضب الفيل كما غضب بقية الحيوانات، ولكن الفيل تمالك أعصابه كعادته، وقال: «بُص، بُص أيها الأسد الملك».

وتدخل النمر بقوله: «أرجوك يا مولانا الأسد الملك، اسمع منَّا أية فكرة ثم ادرسها معنا أيضا، لعلنا نصل معاً إلى الحل المناسب، ونستطيع إعادة الشبل، وحماية غابتنا من الأعداء».

ولم يعلن الأسد موافقته، ولكنه لم يعلن رفضه أيضا. ثم اشتركوا معاً فى إعداد خطة سريعة لإنقاذ الشبل الصغير من بين أيادى اللصوص. وفجأة أمر النمر بأن يصمت الجميع، وبدأ يشرح لهم الخطة ودور كل منهم:

«اسمعوا يا أصدقاء.. سوف نقوم فوراً ونسير إلى حدود الغابة فى مجموعات صغيرة، فيرانا الصياد وأصدقاؤه ويصطادوننا ويحملون بعضنا إلى السيرك مع الشبل الصغير، وعلى طائر الهدهد متابعة السيارة حتى يُرشد بقية الحيوانات عن مكان هذا السيرك. أما بقية الخُطة فهى من واجب الحيوانات الكبيرة فيما بعد.. وتأكدوا جميعاً أنه بتعاوننا وقوتنا سوف ننتصر على هذا الصياد الخائن».

وتقدمت الطيور الجميلة الهدهد والكناريا وأبو قردان، وكذلك الحيوانات الطيبة، كالغزال والزراف والنعام، وقبل غروب الشمس التقت جماعة منهم بالصياد جالساً.. فوق صخرة مرتفعة، ليرتاح قليلاً من مشقة العمل فى هذا اليوم الصعب، وكذلك رجال السيرك. يالها من مفاجأة أصابت الصياد بالحيرة وهو يرى هؤلاء وهؤلاء وهم يمرحون، ويغنون معاً فى اطمئنان غريب، وبعد

فترة قال لنفسه: «كل هذه الحيوانات والطيور مرة واحدة.. إنه يوم سعيد حقا».

لكنه عاد وتردد فى التقدم نحوهم، وفضل أن يُخبر رجال السيرك حتى يساعدوه فى صيد أكبر عدد منهم.

حدث كل ما تمناه الصياد، ومن شدة فرحته هو والرجال الآخرون لم يسأل أحدهم نفسه: «لماذا لم يقاوم الطيور والحيوانات محاولة صيدهم، بل كانوا يلقون بأنفسهم داخل الشباك؟!».

وذهبوا جميعاً إلى السيرك وتزاحم الجميع داخل الأقفاص القليلة الموجودة، فقرر الصياد أن يقضى الليلة معهم وبجوارهم حتى يفكر بهدوء، كيف سيتم محاسبة أصحاب السيرك على هذه الصفقة الغالية الثمينة؟

وبعد منتصف الليل بقليل، بينما الصياد غارقاً فى نوم عميق من شدة التعب، سمع صوتاً لحوافر وأظافر وأقدام حيوانات عديدة، ظن فى البداية أنه يحلم، لكنه انتبه قليلا وتأكد له، إن ما يسمع ليس إلا لحيوانات الغابة كلها وقد تجمعت من حوله. وفجأة لمح بعضهم يحطم الأقفاص، وبعضهم الآخر يلتف من حوله، ثم يتقدمهم جميعاً الأسد الملك يقول له: «ماذا نفعل بك الآن أيها الصياد الغدار الخائن؟».

وبدأ الصياد فى البكاء، وعاد يرجو الأسد الملك أن يعفو عنه.. تماماً كما فعل أول مرة فقال: «أنا رجل مسكين، عندى أطفال أربيها، ولو قتلتنى أيها الملك سوف تحرمهم منى ومن رعايتى، وأنت لا ترضى بذلك».

فرد الأسد بعد أن زأر كعادته وقال:

«هكذا الإنسان دائما، عندما يفعل الخطأ، ولا يوفى بوعده لا يفكر فى العقاب الذى ينتظره، وعندما ينكشف غدره وخيانته يبكى ويدعى أنه أضعف خلق الله».

ويقترب النسناس «نسنس» ويُخبر الملك أن بقية الحيوانات الكبيرة المفترسة قادمة حالا، وعندما تصل بقية الحيوانات يتقدمهم الفيل الحكيم مبتسماً وهو

يرى الصياد يرجو الملك أن يعفو عنه، فاقترب أكثر من الملك وقال لـه: «والآن ما رأيك أيها الملك ألم أطلب منك أن تقول كلمة «بُص» أفضل من كلمة «هُس».. لقد استطعنا بحرصنا وتعاوننا معاً أن نقبض على الصياد الخائن».

فضحك الأسد الملك، ثم قال:

«حقا هذا أفضل بكثير، وأنا الآن مطمئن وبهذه المناسبة قررت العفو عنك أيها الصياد، ولكن تأكد أننا سوف ننتقم منك لو حاولت الاعتداء على حيوانات الغابة مرة أخرى».

دُهشت بقية الحيوانات، لكن الفيل الحكيم رد عليهم هذه المرة وقال:

«إنه عفو القوى يا أصدقاء، ولا تنسوا أنه سلوك القوى الواثق من نفسه».

والآن نؤجل احتفالنا بعودة الشبل الصغير بعد ما نعود إلى الغابة، هيا بنا جميعاً إلى الغابة.

وتقدم الأسد الملك جميع الحيوانات والطيور وهم يغنون أغانى الانتصار، فى حين بقى الصياد ينظر إليهم وهو لا يصدق أنهم تركوه حياً هذه المرة أيضاً.

□□□

الحطاب الحكيم

يُحكى أن الاحتفال بتتويج الأمير الشاب «ريحان»، كان فخماً وبهيجاً ثلاثة أيام. ذلك لأن الأمير قاد جيشه وانتصر على الأعداء، ومنذ فترة قصيرة. وأثناء الليلة الأولى بعد التتويج، نظر الملك الشاب إلى رجال حاشيته فى حيرة، ثم قال:

«لماذا لا أرى بينكم الحطاب الحكيم، وهو الرجل الذى حدثنى عنه أبى الملك، وعن إخلاصه وحبه للحكمة».

همس رجال الحاشية قائلين: لكن كيف يجلس بينهم ذلك الحطاب؟.

فهم الملك معنى همساتهم فغضب، فأسرعوا بإحضار الحطاب، وحين أصبح أمام الملك سأله:

كيف أصبح ملكًا محبوبًا كما كنت أميرًا محبوبًا ؟ .

انتظر الحطاب فترة صامتًا ثم قال :

«أرى يا مولاى ثلاثة شروط، إن حققتها نجحت وأحبك الشعب..».

.. «ما هى.. أجب بسرعة؟!!».

قال الحكيم وهو ينظر إلى عينى الملك:

«أول هذه الشروط أن تعفو وأنت الملك القوى عن الضعفاء» هز الملك رأسه موافقاً.

ثم تابع الحكيم قائلا:

«الشرط الثانى يا مولاى ألا تستمع للوشاة الذين يتحدثون كذباً عن الآخرين».

فابتسم الملك الشاب وكأنه اطمأن لتحقيق الشرط الثانى.

ثم تابع الحطاب الحكيم قائلا:

«الشرط الثالث أن تأخذ حذرك من الأعداء، وربما تكون نفسك من أعدائك!!»

فضحك الملك لأنه يرى سهولة تحقيق الشروط الثلاثة، وقال:

«يا حكيم المملكة كنت أظن أنك ستقول شروطا صعبة!» صمت الحكيم، ثم قال:

«أرجو أن يوفقك الله يا مولاى الملك الشاب، وتستطيع أن تحقق ما حققه أبوك من حب فى قلوب الناس».

«اطمئن.. اطمئن أيها الحطاب الحكيم».

فى مساء اليوم التالى بدأ كل مسئول يعرض ما عنده للملك.

دخل كبير الحرس وقال:

« يا مولاى انتشر جنودك بين أرجاء المدينة، يسعون إلى تحقيق الأمان والاستقرار فى المملكة، وتم القبض على اللص الذى كان يسرق من البستان الكبير».

غضب الملك وقال:

«أين هو.. أين هو؟!

إنى أرفض أن يكون فى مملكتى لص»

صاح الحاجب، فتقدم عشرة جنود أشداء، وبينهم ظهر فلاح مرفوع الرأس، واثقاً من نفسه، وهو ما جعل الملك ورجال الحاشية فى دهشة يتساءلون: لماذا لا يخاف هذا الفلاح؟!.

وعندما وقف الفلاح بين يدى الملك، سأله الملك:

«هل أنت اللص؟»

بهدوء وثقة رد الفلاح:

«لم أسرق يا مولاى!»

فنظر الملك إلى كبير الحرس، الذى شعر بارتباك شديد وتقدم نحو الفلاح، فنظر إليه فى غضب، وقال له فى انفعال:



«هل تنكر أن حمارك نزل إلى البستان، وأكل منـه حتـى شبع.. ثم خـرج إليكما صاحب البستان وحاول أن يقبض عليكما ولكنه فشل لولا جنودى».

نظر الفلاح إلى الملك وقال:

«يا مولاى أرجوك أن تستمع لى.. إن الحيوان مخلوق أخرس، ضعيـف وأنـا رجل فقير، عندما جاع حمارى لم ينتظر حتى اشترى له الأكل. فوجدته يـنزل إلى البستان وكلما حاولت منعه أو إبعاده كان ينسلت منى، ويعود إلى أكله فـى البستان ثانية..».

رفع الملك رأسه وبعد تفكير قال:

«إذن فأنت تعترف أن حمارك نزل إلى البستان وأكل حتى شبع!!»

طأطأ الفلاح رأسه صامتاً. فتابع الملك قائلا:

«أنـت لص، ويجـب أن تعـاقب، ضعـوه فـى السـجن حتـى يتـأدب هـو وحماره!!!».

ابتسم رجال الحاشية فور سماع حُكم الملك، إلا الحطاب الحكيم الـذى كـان يهز رأسه فى غضب، وعندما لمحه الملك سأله:

«أراك غير راض أيها الحكيم!»

رفع الحطاب الحكيم رأسه وقال:

«لقد حذرتك يا مولاى.. نصحتك أن تعفو وأنت الملك القوى».

فى مساء اليوم التالى جلس الملك مع حاشيته مثلما فعل بالأمس فتقـدم كبـير الحرس وقدم فروض الطاعة ثم قال:

«لقد علمت يا مولاى أن الناس كلهم سعداء بتتويجك ملكا عليهم.. وسمعت أن بعض الأشرار والحاقدين عليك يدبرون مؤامرة لقتلك».

فوجئ الملك كما دُهش رجال الحاشية، حتى أن الملك وقـف قلقاً، ثـم أمـر كبير الحرس قائلا:

«أحضروهم.. أحضروهم جميعاً».

فأشار كبير الحرس بيده، فدخل عشرون مـن الحـرس الأشـداء بينـهم شـيخ كهل كبير فى السن!

زادت دهشته حين رآه وهمس إلى كبير الحرس:

أين المتآمرون؟!

وهنا أشار كبير الحرس إلى الرجل الكهل، وقال:

«هذا الشيخ هو رأس الأفعى».

فأمر الملك أن يتقدم الشيخ، ثم طمأنه وطلب منه أن يتكلم، وعندما بدأ الشيخ فى الكلام ذهل الحاضرون، خصوصا عندما قال:

«هل تتذكر يا مولاى، أيام والدك الملك، عندما كانت هناك مؤامرة لقتله واختبأ فى دار أحد البسطاء من الشعب وكنت أنت معه، وكنت ماتزال صبيا.. وعاونه هذا الشخص ولولاه ما عاش الملك».

هنا بدأ الملك الشاب يتذكر، فقال:

«نعم.. نعم أتذكر جيداً، حين أنقذنا أيامها رجل قوى، لولاه ما عشت ولا عاش أبى الملك».

فسأله الشيخ قائلا:

«أرجوك يا مولاى أن تتذكر.. إنه أنا هذا الرجل يا مولاى، ولم أكن أعرف وقتها أن هذا الرجل هو الملك، لأنه كان يتنكر فى ملابس الرعية».

فسأله الملك الشاب قائلا:

«وما علاقة ذلك بما نحن فيه الآن؟».

رد الشيخ قائلاً:

«إن هذا ما حدث معى هذه المرة أيضا!!

لقد طلب منى أحد الشباب النجدة، فنجدته وجعلته يقيم فى بيتى، يأكل من مأكلى، ويشرب من مشربى، ويلبس من ملبسى حتى اطمأن. لقد أخبرنى الشاب أن ثأراً بينه وبين كبير الحرس هو ما جعل كبير الحرس يحاول القبض عليه بعد أن تولى هذه الوظيفة الخطيرة فى عهدك، ولما علم أنه اختبأ عندى قبض علىَّ انتقاماً وحقداً لأنه حضر بعد أن هرب الشاب من بيتى».

فأمر الملك الشاب بحبس الشيخ لأنه اعترف بأن الشاب كان يختبئ عنده. ثم نظر الملك إلى رجال الحاشية فوجدهم يبتسمون، وهو ما يعنى موافقتهم على قراره!!، إلا الحطاب الحكيم الذى كان يهز رأسه فى غضب، فسأله الملك:

«أراك غير راضٍ أيها الحكيم!».

فرفع الحطاب الحكيم رأسه وقال:

«لقد حذرتك يا مولاى.. نصحتك ألا تسمع للوشاة الذين يتحدثون كذباً عن الأخرين، ولا تتسرع فى الحكم بعد سماع كلامهم».

فلم يرد الملك هذه المرة أيضاً.

وفى مساء اليوم التالى جلس الملك كعادته مع حاشيته، تقدم كبير الحرس وأخبر الملك بتغيب الحطاب الحكيم هذه الليلة. فغضب الملك وأمر بإحضاره فوراً.

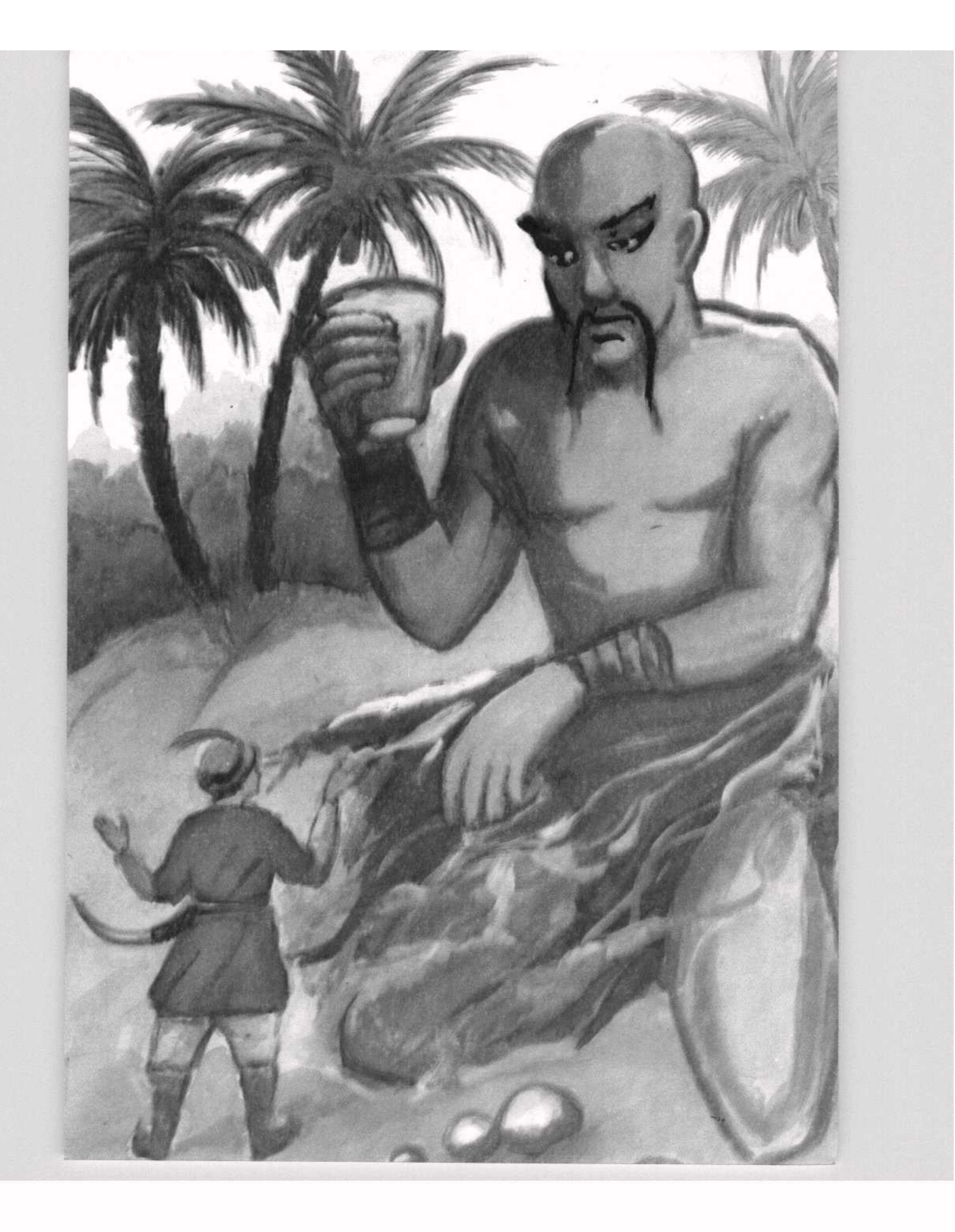
فغاب كبير الحرس وعندما عاد. لم يُحضر معه الحطاب الحكيم. نهض الملك وسار فى قاعة العرش حزينا، ثم قال:

«يا رجال القصر إنى أعانى من كابوس يزعجنى كل ليلة، لذلك أريد الحكيم حتى يفسره لى، لعلى اشفى منه».

شعر رجال الحاشية بالقلق والخوف على الملك الشاب، وحاول بعضهم تفسيره بعد أن سألوه أن يسرده عليهم حتى يمكنهم تفسيره، فقال الملك:

«أرانى كل ليلة فى صحراء واسعة جرداء، من غير زرع ولا ماء، أبحث عن جرعة ماء فلا أجدها حتى رأيت مارداً كبيراً وفى يده كوب من الماء يقدمه لى، وعندما هممت لأشرب منه خطفه منى وهو يقول لى: «يا ظالم، لن تشرب!!»، فصرخت وطلبت النجدة.. فلم أجدها».

حاول بعضهم التفسير، ففشلوا جميعا فى إقناع الملك الشاب، لكن الملك أصر على ضرورة إحضار الحطاب الحكيم. وأخيراً عثروا على الرجل، وما أن دخل



قاعة العرش حتى رحب به الملك وأجلسه إلى جواره، وقص الملك الشاب الكابوس عليه فابتسم الحطاب وقال: «قلتها لك يا مولاى ولم تسمع كلامى».

أسرع الملك وهو مندهش يحاول استرجاع ما قاله الحكيم فسأله: «ماذا قلت أيها الحكيم، ذكرنى!!».

فقال الحطاب الحكيم بوقار:

«قلت لك أن شروطى ليست بسيطة كما تظن يا مولاى. فأنت لم تعفُ عن الفلاح المسكين وأنت الملك القوى، ثم أنك استمعت إلى وشاية الوشاة وأنت تعلم أن الشيخ صادق فيما قاله.. وكان الشرط الثالث الذى لم تنتبه إليه وهو أن تأخذ حذرك من أعدائك.. وقد تكون نفسك أنت من أعدائك. نعم يا مولاى.. وقد تكون نفسك أنت من أعدائك!!

فشعر الملك بالحيرة أمام كلمات الحطاب الحكيم وهو الرجل الفقير، لكنه إعتدل فوق كرسى العرش وقال:

«صدقت أيها الحطاب الحكيم، فأنت الوحيد الذى قال لى الحق، صدق من لقبك بالحطاب الحكيم لأنك الرجل الصادق، وعرفت الآن فقط. لماذا أوصانى أبى عليك والاستماع إلى كلماتك».

وأمر الملك بالعفو عن الفلاح المسكين، والشيخ العجوز وأخذ عهداً على نفسه من التحقق والتأكد مما يعرض عليه من أمور، قبل أن يُصدر أى حكم حتى يكون حكماً عادلاً، وبذلك إكتفى الحطاب الفقير بما سمع من مديح فشعر بالحرج وقال:

«أنا الآن مطمئن على نفسى وأهلى، لذا سوف أعود لجمع الحطب» أما الملك الشاب فقد ترك مكانه وأصر أن يودع الحكيم بنفسه حتى باب قاعة العرش.

□□□

عرائس أميرة

تحب «أميرة» الرسم وصنع العرائس، لكنها عادت من المدرسة فلم تجد عرائسها ولا رسوماتها حزنت «أميرة» حزناً شديداً، وخرجت إلى شاطئ النهر، وجلست أسفل شجرة الكافور تفكر وهى تبكى على عرائسها ورسوماتها.

ومن شدة التعب غلبها النوم، فإذا بها ترى رجلا طيباً يرتدى عباءة بيضاء، وعمامة بيضاء، وله لحية بيضاء أيضاً، سألها عن سبب بكائها فأخبرته.

فقال لها: «أنا أعرفك يا أميرة، أعرف كل الفنانين فى هذه البلدة»، ابتسم الرجل وأخبرها أنها ستعيش مع أناس طيبين يحبون الرسم والعرائس، ثم خلع العباءة، وألقاها عليها.

وجدت «أميرة» نفسها فوق أرض جديدة هادئة، كلها زرع أخضر جميل، والناس من حولها يبتسمون دائماً، ويتحدثون بصوت منخفض، وحديثهم مهذب، وملابسهم نظيفة، فشعرت «أميرة» بالسعادة، وهى تجرى وتلعب فى كل مكان.

وعندما حل الظلام، جلست «أميرة» بجوار محل للأصباغ، كان صاحب المحل يقفل باب المحل، فسألها عن حكايتها. أخبرته أنها غريبة، فسمح لها بالمبيت داخل المحل.

دخلت «أميرة» المحل، وعندما خرج صاحبه وأغلق الباب، شعرت وكأن الحائط ينشق وتخرج فتاة جميلة من الحائط تشبهها تماماً.

قالت: لا تخافى يا «أميرة»، أنا حضرت لألعب معك، دهشت «أميرة» من شدة جرأة الفتاة، التى بدأت تفتح لها براميل الصبغة، التى على كل الألوان، ثم قدمت لها الفرشاة، وهى تقول لها: «ارسمى كما تحبين».



في الصباح حضر صاحب المحل، فوجد الحوائط وأرضية المحل كلها رسومات فغضب الرجل لهذه الفوضى وقال:

«الذى يحب الرسم، يُحب النظام والنظافة أيضا».

خرجت «أميرة» إلى أحد الحدائق تلعب، وكما فعلت بالأمس، فعلت فى اليوم الجديد، وراحت تغنى وتلعب.

وعندما حل الظلام جلست أمام عتبة محل لبيع الأقمشة، وما حدث مع صاحب محل الأصباغ تكرر مع صاحب محل الأقمشة.

فعندما دخلت المحل، وبدأت النوم ، انشقت الحائط وظهرت لها الفتاة، وهذه المرة قدمت لها مقصا وبدأت تقص معها الأقمشة، ويصنعا العرائس.

وفى الصباح - دخل صاحب المحل، فوجد الفوضى والأقمشة الممزقة، فغضب غضباً شديداً، وقرر أن يشكوها إلى العمدة.

أمر العمدة بإحضار «أميرة»، فذهب الحراس يبحثون عنها، فوجدوها تلعب مع عرائسها ورسوماتها التى هى على شكل الحيوانات، وقد تحولت إلى حيوانات حقيقية إلا أنها أصغر حجماً.

لكن «أميرة» رفضت الذهاب معهم. فقرر العمدة أن يذهب بنفسه إليها ومعه حكيم القرية، وما أن رأتهما معا وخصوصاً الرجل الطيب حكيم القرية، حتى صرخت فى دهشة قائلة: «غير معقول.. غير معقول!!». ثم سألت الرجل:

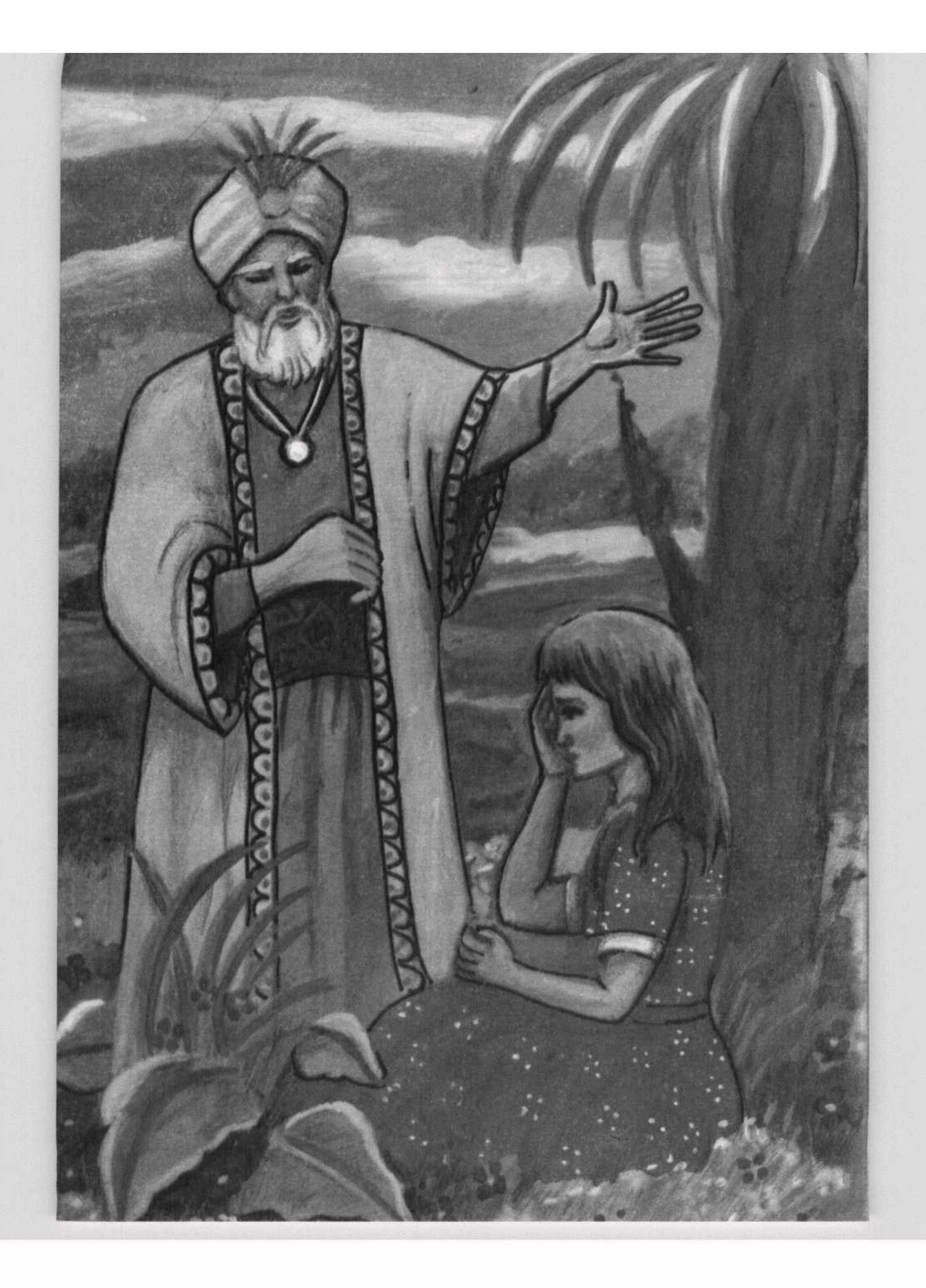
«هل أنت الرجل الطيب الذى...؟؟».

فقاطعها قائلا:

«نعم..».

ثم ابتسم فى هدوء وهو يخلع عن نفسه العباءة البيضاء وألقاها عليها، كما فعل معها أول مرة، فوجدت «أميرة» نفسها فى قريتها تحت الشجرة!!

فى هذه اللحظة استيقظت «أميرة» من نومها، وشعرت وكأن الحلم حقيقة، وكأنها لم تغب لحظة واحدة، وقالت لنفسها: «يجب ألا أهمل أى شىء، وأن أحافظ على عرائسى ورسوماتى حتى لا تضيع منى مرة أخرى، ولا يتكرر ما حدث مرة ثانية».



الناى الحزين

اشتكى الناى لزملائه الأورج والطبلة، لماذا لم تعد صاحبتهم «مى» تلعب معه كما كانت. فقال الأورج:

«لأنها لا تحب اللبن، ولا تشربه، فلا تستطيع أن تنفخ فيك بنفس قوى»، حزن الناى أكثر، لأنه تأكد أنها مشكلة، فكيف سيقنع «مى» بشرب اللبن؟».

وفى هذا الصباح – الصيفى المشرق، استيقظت «مى»، وأخبرت أمها أنها سوف تلعب مع أصدقائها الآلات الموسيقية. فطلبت منها أمها أن تشرب اللبن حتى تستطيع أن تنفخ فى الناى، قالت «مى»: أنا أحب اللعب أكثر من اللبن.

وخرجت من الغرفة كى تغسل وجهها. بينما وقفت أمها حائرة: تفكر فيما يجب أن تفعله معها.. فتقدم الأورج من الأم، وقال لها:

«أنا وأصدقائى نعرف لماذا أنت غاضبة؟»

تقدمت الطبلة إلى الأم وقالت:

«يجب أن نفكر جميعاً فى إنقاذ صديقتنا «مى».

بدأت الأم والآلات الموسيقية يتحركون فى الغرفة للبحث عن حل لهذه المشكلة.

وفجأة وقفت الطبلة، تجمع حولها الجميع، وقالوا:

«إنها حقا فكرة جميلة، لو نجحت سوف نكون سعداء».

اقتربت «مى» من الآلات الموسيقية، بينما خرجت الأم إلى المطبخ، قالت «مى» فى سعادة:



«لقد جاءت الإجازة الصيفية، وحان ميعاد اللعب معكم طوال اليوم»

حاولت «مى» أن تعزف على الأورج، فلم يخرج صوتاً. بدأت تدق بشدة على الطبلة، فلم تسمع صوتا أيضا، كذلك نفخت فى الناى لكنها لم تجد أى صوت له، فوقفت حائرة حزينة لا تعرف السر، رغم أن جميع الآلات يعرفونها ويبتسمون فيما بينهم. وعندما دخلت الأم عليها، قالت «مى».

«إن كل الآلات الموسيقية لا تريد أن تلعب معى يا أمى، أريد أن أعرف السر؟!».

قالت الأم مبتسمة:

«لأن الآلات الموسيقية لم تتغذِ اليوم».

فقالت مى فى دهشة: «وهل تأكل الآلات الموسيقية مثلنا؟!».

ردت الأم: «نعم، فالأورج لا يعمل إلا بالكهرباء، أما الطبلة، فإن وضعها على نار هادئة تشد سطحها وحينئذ نسمع صوتها الجميل تيك.. تيك.. دوم».

أسرعت «مى»، ووضعت توصيله الكهرباء فسمعت صوت الأورج، ووضعت الطبلة على النار فسمعت صوتها أيضا، ثم نفخت فى الناى فلم تسمع صوتاً وهنا ابتسمت الأم وقالت:

الناى محتاج إلى نفس قوى من العازف الذى ينفخ فيه، ولو شربت اللبن يا «مى» تستطيعين النفخ فى الناى أسرعت «مى» إلى كوب اللبن وشربته على مرة واحدة ثم عادت إلى الغرفة تنفخ فى الناى فخرج صوته الجميل.

فتقدمت «مى» نحو أمها، شكرتها ثم قالت:

«أنا سعيدة يا أمى، سعيدة جداً، سوف أشرب اللبن كل يوم».

فرحت الأم وقبل أن تخرج من الغرفة، شكرت الآلات الموسيقية، بينما كانت «مى» منهمكة فى اللعب معهم.

ذيل البقرة

أصبح الراعى العجوز عاجزاً عن رعاية الأغنام والبهائم، وتولى ابنه هذه المهمة، لتعيش الأسرة الصغيرة على بيع صوف الأغنام، وأيضاً بيع حليب البقر.

وكان الراعى الصغير يعشق الجلوس على ضفاف النهر تحت الشجرة، يتأمل المياه الصافية، والسماء الجميلة، والطبيعة الجميلة من حوله:

وفى كل مساء يعود الصغير، ليسأل أباه سؤالا جديداً.. فمرة يسأله عن فائدة الشوك الذى يراه فوق ظهر القنفذ، وقد لمحه يجرى هذا الصباح من أمامه؟

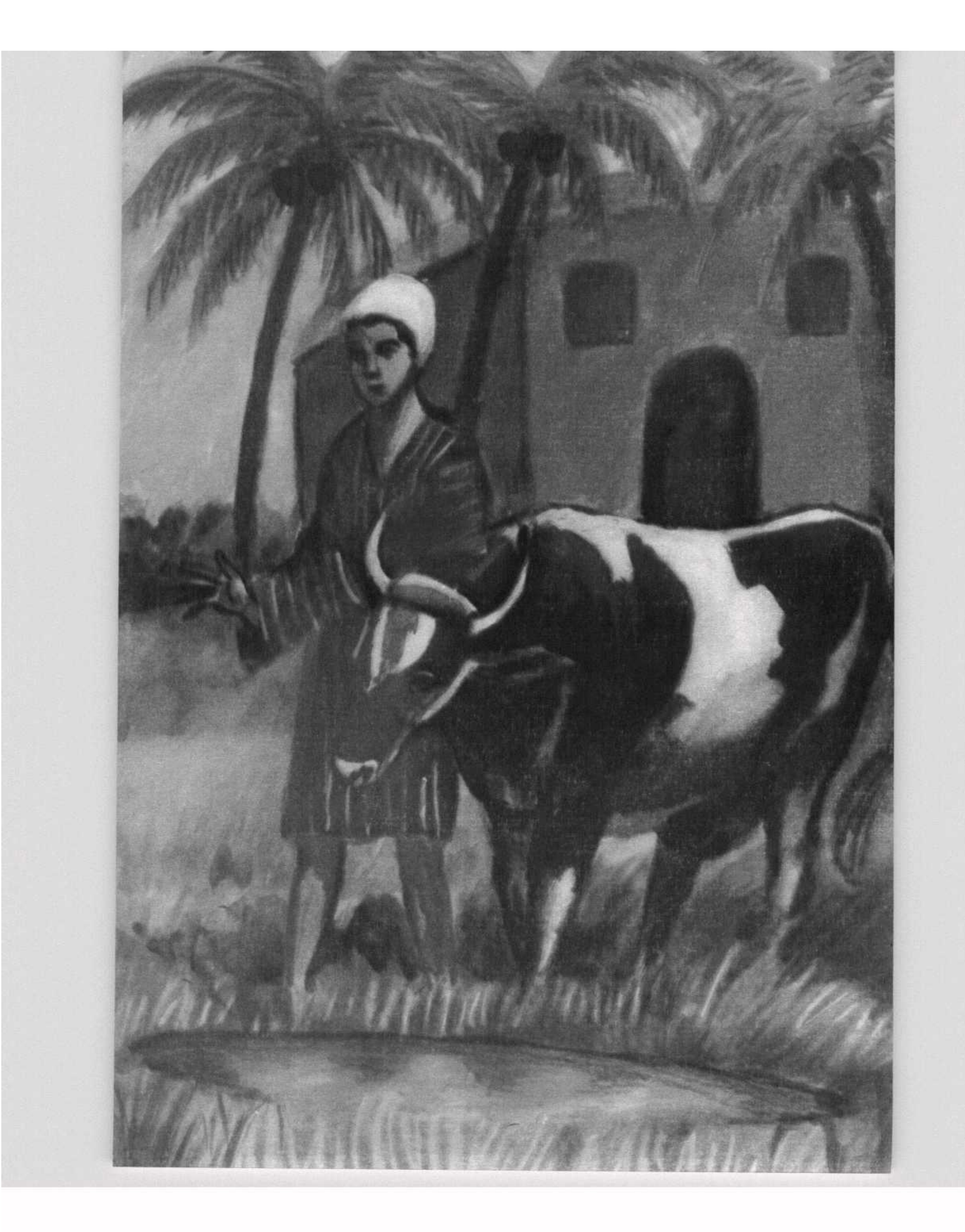
فيجيبه الأب: «إنه يدافع به عن نفسه».

ومرة أخرى يسأله بإلحاح أسئلة كثيرة، فيجيبه الأب سعيداً بابنه.. حتى كانت آخر مرة، حين استفسر الصغير عن فائدة ذيل البقرة. فقال الراعى العجوز ضاحكاً:

«إنها تستخدمه فى هش الذباب عن نفسها».

فلم يقتنع الراعى الصغير. وابتسم الأب قائلا: «بالتأكيد له فوائد أخرى لا أعرفها أنا، وعندما تعرفها أنت أخبرنى بها». فشعر الصغير بالثقة فى نفسه لأنه سأل سؤالاً صعباً!!

وفى الصباح التالى خرج الراعى الصغير يرعى البقرة، وجلس عند النهر، يتأمل الأسماك القريبة من سطح مياه النهر، والسماء الزرقاء الصافية. وشرد طويلا وهو يفكر فى إجابة السؤال.



ومضت فترة طويلة، طويلة جداً، لم يتذكر خلالها بقرته التى تركها ترعى فى الحقل القريب، لكنه سمع صراخاً عالياً فجأة، فوقف وتذكر بقرته التى اختفت، وعندما نظر إلى الحقل لمح صاحبه وهو يحمل فى يده عصاً طويلة، ويجرى خلف بقرته ثائرًا.

وعندما اقتربت البقرة من الراعى الصغير شاهد عينها وكأنها تقول له: «النجدة، النجدة».. فتقدم الراعى إليها، وما إن لمحه صاحب الحقل، حتى صرخ فى وجهه قائلا: «سوف أقطع ذيل بقرتك حتى لا ترعى فى حقلى مرة أخرى».

كان غضب الرجل شديدًا، وهو ما جعل الصغير متردداً فى سؤاله أو التحدث إليه كى يعفو عنها، وإذا بالرجل يصيح فى وجه الراعى ويعدو خلفه وخلف بقرته لينتقم منهما.

فلم يتردد الراعى الصغير فى الفرار من أمام الرجل، ولكنه كان يريد أن يُنقذ بقرته التى يُحبها، فجرى وأمسك بذيل البقرة ثم أخذ يجرى بسرعة ناحية النهر، حتى وصلا إلى الشاطئ ثم قفز الراعى الصغير هو وبقرته فى النهر وهو متعلق بذيلها فى حين لمَحَ صاحب الحقل يلهث عند الشاطئ ولا يستطيع أن يصل إليهما.

وكان النهر واسعاً وعميقاً، كما كانت دوامات النهر قوية ومخيفة، فكان جسد البقرة يغوص فى المياه ثم يطفو فوق المياه فى صراع شديد، ولولا أن الراعى الصغير تعلق بشدة بذيل البقرة لأصبح فى خطر حقيقى ومهدداً بعصا صاحب الحقل أولا، ثم مهدداً بالغرق فيما بعد. لذلك بدون تفكير تعلق بشدة بذيل البقرة وهو يأمرها بأن تستمر فى السباحة ولا تهدأ، حتى وصلا معاً إلى الشاطئ البعيد من النهر.

ويبدو أن أهالى القرية عند الشاطئ الآخر كانوا يتابعون ما حدث من صاحب الحقل وكذلك كل ما حدث للراعى الصغير وبقرته، لذلك أسرعوا إليهما والتفوا حولهما، كى يُقَدِّمُوا البرسيم إلى البقرة ويجففوا ملابس الصغير. لكنهم ضحكوا طويلاً عندما شاهدوا الراعى الصغير معلقاً بذيل البقرة ولا يريد أن يتركه، حتى بعد أن ابتعدا عن عصا الرجل الواقف عند الشاطئ البعيد، وبعد أن عبرا النهر بسلام، فقال أحدهم فى دهشة:

«اترك ذيل البقرة يا ولدى، أنت الآن بعيد عن عصا الرجل، وكذلك دوامات النهر الخطيرة».

فابتسم الصغير وهو ينظر إلى ذيل البقرة:

«نعم، لقد عرفت فائدة جديدة لذيل البقرة!»

وضحكوا جميعاً.

□□□

رقم الإيداع	١٩٩٨/١١٣٤٤
الترقيم الدولى 977-02-5612-9	ISBN

٧/٩٨/١٤

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)